

الاسلام»<sup>(٦)</sup>.

هذا يفسر، كذلك، رسالته الموجهة الى يهود الشرق. فهي تخرج عن الاطار العام لمساعيه لكسب تأييد السكان المحليين، او على الاقل قسماً منهم، وتجنيدهم في معسكره. في ٢٢ نيسان ( ابريل ) ١٧٩٩، نشرت «المونيتور» (*Le Moniteur*)، جريدة الحكومة الفرنسية، ما يلي: «قام بوناپرت بنشر تصريح يدعو فيه كل يهود آسيا وافريقيا لكي ينضوا تحت رايته من اجل بناء القدس القديمة». بحسب المؤرخين، خلال حصار عكا، وبعد موقعة جبل طابور التي هزم فيها نابوليون القوات العثمانية القادمة من دمشق لفق الحصار عن عكا ( ١٧ نيسان - ابريل )، اصدرت قيادة الجيش الفرنسي من القدس ( مع العلم بأن نابوليون لم يدخل القدس أبداً ) نداء بتوقيع بوناپرت نفسه الى «الورثة الشرعيين لأرض - اسرائيل»<sup>(٧)</sup>. وبحسب المؤرخين، كذلك، ظل نص التصريح او النداء هذا غير معروف الى ان تم كشفه سنة ١٩٢٨ ( وبحسب آخرين ١٩٢٩ ) بالصدفة في موجودات اسرة يهودية في مدينة فيينا ترجع صلاتها الى حاشية نابوليون في الشرق<sup>(٨)</sup>. ثمة اتفاق بين المؤرخين يؤكد ما سنبينه من الفقرة اللاحقة من ان نص التصريح - النداء طبع بكميات قليلة ووزع ضمن نطاق محدود، لأن الغرض الاول منه كان، في الحقيقة، تجنيد اليهود الشرقيين الذي شرع فيه نابوليون قبل حصار عكا بوقت قصير؛ وكان الغرض الثاني منه متعلقاً بسياسة الثورة الفرنسية الاوروبية عامة. فثمة اشارات تدل على ان تصريح نابوليون قد تم تداوله في بعض الغيتوات اليهودية في اوربا الوسطى، والشرقية، بشكل خاص. وليس بمستبعد ان تكون الحكومة الفرنسية هي التي قامت بتوزيع هذا التصريح هناك ( والا كيف يمكن تفسير انه لم يعثر عليه الا بالبيديش، وبعد ١٥٠ سنة، وفي فيينا ؟ ) . وبحسب ما هالر، نشرت الصحيفة الرسمية الفرنسية «المونيتور»، في باريس، انه «ليس من اجل اعطاء القدس لليهود فتح نابوليون سوريا، فخطه الاصلية تذهب ابعد من ذلك: الاستيلاء على القسطنطينية»<sup>(٩)</sup>. وفي كل الاحوال، فان صدق المشروع بين يهود الشرق، الموجه اليهم النداء، كان سلبياً<sup>(١٠)</sup>. ما لم يقله المؤرخون الصهيونيون، يشرحه التاريخ لحسن الحظ. فالمشروع النابوليوني كان واحداً من سلسلة من المشاريع التي لم تتقطع منذ صعود الكولونيالية الماركنتيلية. وكان، في حقيقته، لصالح المشروع الامبراطوري ( الامبريالي اذاً ) الفرنسي. مما يفسر، مثلاً، ان حاييم فارحي، وهو حاخام ووزير مالية والي عكا، احمد باشا الجزائر، كان من بين المدافعين عن المدينة ضد المهاجمين. اما في اوربا الغربية، على العموم، فان سلبية اليهود تفسرها معاكسة المشروع لتاريخهم الخاص وميلهم الخاص الى الانخراط الواسع في الحركة الاجتماعية العامة لمجتمعاتهم التي كانت، من حيث هي اتجاه، بدأت تنمو آنذاك، والذين سيلعبون فيها دوراً هاماً ستظهر آثاره فيما بعد .

### الوجه الغربي للصورة

تبقى نقطة اخرى بصدد نابوليون وسياسته «اليهودية»، تتعلق بموقفه من اليهود في فرنسا ذاتها حين صار الحاكم الفعلي. وعلى اهميتها البالغة، فالمؤرخون لا يخصصون لها، عادة، الاهتمام الذي تستحقه، بمن في ذلك مؤرخو اليهود والاسلامية.

عملياً، ادرك بوناپرت، القنصل الاول ثم الامبراطور، ان على الثورة، مثلها في ذلك مثل كل سلطة، من اجل نجاحها، من جهة، ومن اجل حماية نفسها من اعدائها، من جهة اخرى، ان توحد الشعب الفرنسي وراءها. وكمثل ما اراد لويس السادس عشر، وعمل له وزيره مالزيرب، ان على نابوليون ان يحل مشكلة الاقليات «بحيث تصير نافعة للدولة»<sup>(١١)</sup>، من طريق الغاء العنصر الديني الذي يعيق «اندماج» الشعب الفرنسي ببعضه.